مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠٠٩، المجلد ١١، العدد١ -B ص٧٩-٩٦

التحققات النطقية لصوتي الكاف والقاف في الدارجة الفلسطينية

سعيد محمد إسماعيل شواهنة

كلية الآداب – جامعة الخليل

تاريخ الاستلام ٢٠٠٨/٩/١٥ تاريخ القبول ٢٠٠٩/٤/٢٦

الملخص: تقدم هذه الدراسة التفسيرات الصوتية لصوتي الكاف والقاف على ألسنة الناطقين بهما في البيئات الفلسطينية المختلفة، وقامت هذه الدراسة بالتأصيل اللهجي لهذه التحققات وما طرأ عليها من تغيير على ألسنة الناطقين بها . وتتبعت الدراسة هذه التحققات وكيفية أدائها على ألسنة الجماعة البشرية في البيئة الجغرافية الواحدة وتبيانها مع البيئات المختلفة، وبينت أثر التبدلات الصوتية في تغيير الدلالة عندما يكون التحقق إبدالا فونيميا . أما التبدلات النطقية الأخرى فلا تؤدي إلى تغيير دلالي، لأنها تنتمي إلى تحققات البيئة الجغرافية فهي من قبيل الديفونات أو إلى الفئة الاجتماعية الطبقية فتنتمي إلى رزمة الفاريوفونات . وبينت الدراسة القيمة المورفومية لبعض التحققات خاصة في التمييز بين المذكر والمؤنث.

Abstract: This study presents acoustic interpretations for the two phonemes K and q as produced by native speakers in different Palestine environments. The study conducted dialectical nativization for these interpretations and the changes that occurred by performance produced by group of people in one geographical environment and the difference the other environments. The study indicated the effect of phonological changes in changing the semiotics when the interpretation is phonemic change.As for the other articulatory changes, they do not lead to semiotic change belong to diaphones or to the social classes . As they belong to the variophome package .The study also indicated the morphological value of some interpretations especially in distinction between the muscular and feminine .

مقدمة

تختلف التحققات النطقية للأصوات العربية على ألسنة الناطقين بها حسب البيئة الجغرافية، والحياة الاجتماعية، والمستوى الثقافي لدى أبناء اللغة وأساليب تفكيرهم؛ وحسب النواحي النفسية لديهم،انقسم المتكلمون بالعربية على قبائل منذ أقدم العصور، وكان ذلك داعيا إلى انشعاب العربية إلى لهجات كثيرة، تتفق في صفات وتختلف في أخرى.

وليست العربية بدعا من اللغات في ذلك . ويرى علي عبد الواحد وافي أن هذا الانشعاب يعود إلى اتساع رقعة اللغة العربية ؛ فيقول : " من المقرر في قوانين اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مساحة واسعة من الأرض، وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا فلا تلبث ان تتشعب إلى عدة لهجات"(١).

وقد أطلق علماء اللغة القدامى على هذه التشعبات اللغوية مصطلح لغة، وعدها ابن جني بأنها حجة، يجب على اللغوي أن يستشهد بها ؛ فيقول في " باب اختلاف اللغات وكلها حجة " : "اعلم أن سعة القياس تتيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم، ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازية في إعمالها كذلك"(٢).

أما علماء اللغة المحدثون فقد أطلقوا عليها مصطلح لهجة ودارجة وغير ذلك. واللهجة في الاصطلاح اللغوي الحديث هي "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة"(٣).

ويعرفها تمام حسان بقوله: "طريقة من طرق الأداء اللغوي يتوخاها المتكلم في ظل حالة اجتماعية خاصة ... وهي ظاهرة ديناميكية"(٤).

وتنتمي بيئة اللهجة إلى بيئة أوسع وأشمل منها، تضم عدة لهجات، ومن مجموع هذه اللهجات يتكون ما يطلق عليه اسم لغة.

ويطلق المحدثون من علماء اللغة على صفات هذه اللهجات العادات الكلامية ؛ يقول

إبراهيم أنيس: "ويقصدون بذلك الخصائص التي تتسم بها اللهجات المختلفة بحيث تصبح طابعا معينا للمتكلمين بها، تميزهم عن غيرهم من المتكلمين بلهجات أخرى، وتلك العادات مكتسبة، لا أثر للوراثة فيها، يلقنها الطفل منذ يولد، وينشأ عليها، فيؤديها كلما عنّ له القول ولا يحيد عنها في حديثه"(٥).

والعادات الكلامية الفلسطينية متباينة فيما يتعلق بالأصوات وكيفية تحققها؛ فكل مجموعة بشرية تقطن في بيئة جغرافية خاصة بها يتميز لسانها عن البيئة المجاورة في التحققات الصوتية للكلام المنطوق، علاوة على البيئة الاجتماعية المتباينة بين أفراد المجموعة الواحدة من حيث الطبقة الاجتماعية ومستوى الثقافة . وكل بيئة تحتاج إلى دراسة منفردة حتى تجلي الصفات الصوتية للسانها، ومن الصفات الصوتية الواضحة في الدارجة الفلسطينية التحققات النطقية المختلفة لصوتي الكاف والقاف، وسيجلي البحث - قدر الإمكان -بطريقة أفقية هذه التحققات وتأصيلها وبيان التفسيرات الصوتية الخاصة بها.

إن الناظر في البيئات الفلسطينية المختلفة يجد تباينا في اللسان الفلسطيني من حيث تحقيق بعض الأصوات وتبدلاتها، ومما لا شك فيه أن لهذه البيئات دورا بارزا في توجيه الناطق، لذا نجد أن النطق هو هوية شخصية ومكانية وطبقية للمتكلم، حيث إننا نجد التباين واضحا بين البيئات الجغرافية المختلفة، علاوة على أننا نجد هذا التباين ماثلا بين أفراد المجموعة البشرية الواحدة في المنطقة الجغرافية الواحدة التي تنتمي إلى طبقات اجتماعية مختلفة وبمكنة للباحث أن يقسم البيئات الجغرافية في فلسطين إلى ثلاثة أقسام وهي:

أ- البيئة الحضرية: المتمثلة في المدن الفلسطينية، علما بأن لكل مدينة خصائصها الصوتية الخاصة بها.

ب- الريف الفلسطيني: المتمثل في قرى فلسطين وبلداتها، وكل قرية وبلدة تنماز عن غيرها في طرق نطقها.

ج- البادية الفلسطينية، التي تنماز هي الأخرى في صفاتها النطقية عن غيرها من التجمعات البدوية من جهة، وعن غيرها من البيئات السالفة الذكر من جهة أخرى.

ولم يتنطرق الباحث إلى التجمعات الفلسطينية في المخيمات لأن نطقهم مزيج من عدة لهجات، ولا يحكمهم لسان واحد، نظرا لاختلاف منابعهم الجغرافية

أولا : التحققات النطقية لصوت الكاف في الدارجة الفلسطينية

قبل الولوج في بيان التشكلات النطقية لهذا الصوت لا بد أن نوضح الصفات الصوتية التي ينماز بها عن غيره من أصوات اللغة العربية عند القدماء والمحدثين، من حيث المخرج والصفة.

يذهب الخليل بن أحمد إلى أن مخرج الكاف من اللهاة[٦].

وعند سيبويه من الحنك الأعلى، يقول : " ... ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف "[٧]. وهوعنده من حيث الصفة مهموس شديد مرقق[٨].

ويصفه المحدثون بأنه " صوت طبقي انفجاري مهموس، ويعد هذا الصوت النظير المهموس لصوت الجيم القاهرية (g) " [٩] .

ويتضح من خلال التوصيف السابق التوافق بين القدماء والمحدثين في وصف هذا الصوت، وإن بدا الاختلاف واضحا في نسبته إلى المخرج المحدد .

ومن خلال استقراء الظواهر النطقية المختلفة لهذا الصوت في البيئات الفلسطينية المتعددة لوحظت التنوعات الآتية:

١ - النطق الفصيح للكاف:

يتمثل هذا النطق أبناء المدن في فلسطين وبعض أبناء الريف الفلسطيني علاوة على أبناء الطبقة الاجتماعية الراقية والمثقفين من أبناء الشعب الفلسطيني.

٢ - إبدال الكاف إلى (ch) في كاف المخاطبة المكسورة

تبدل الكاف إلى صوت مركب ينطق (ch) كما في الإنجليزية في الريف الفلسطيني؛

أي أنه يحول من صوت بسيط إلى صوت مركب. أي أنه ينطق ممزوجا بصفة الجيم الفصيحة، حيث تحول هذا الصوت من الطبق إلى الغار، وقد تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج، يبدأ من الغار ثم ينتهي بشين مجهورة [١٠].

وقريب من هذا الصوت ما ورد عند اللغويين القدامى، وهو إبدال كاف المؤنثة شينا في الوقف، وقد أطلقوا على هذا البدل الكشكشة، ووقف عندها سيبويه ووصفها وعدها لغتين، يقول " فأما ناس كثير من تميم،وناس من أسد، فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين ؛ وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف، لأنها ساكنة في الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذه الحروف ... وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها ؛ لأنها مهموسة كما الكاف مهموسة، وذلك قولك : إنش ذاهبة، ومالش ذاهبة، نريد إنك ومالك ... وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف، وذلك قولهم أعطيتكش، وأكرمتكش، فإذا وصلوا تركوها " [١١] .

غير أن ابن جني لم يقصرها على الوقف بل في الوصل أيضا، يقول : " ومن العرب من يبدل كاف المؤنثة في الوقف شينا حرصا على البيان ؛ لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينا، فقالوا عليش ومنش، ومررت بش، ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدلون فيه أيضا وأنشدوا للمجنون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها سوى أن عظم الساق منش دقيق[١٢].

وقد اختلف القدماء في نسبة هذه الظاهرة النطقية إلى قبيلة بعينها؛ فنجد ابن جني ينسبها إلى ربيعة [١٣]، وينسبها السيوطي إلى ربيعة ومضر [١٤]، وينسبها في المزهر إلى هوازن، فيقول: " وقال ثعلب في أماليه : ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، **وكسكسة ربيعة، وكشكسة هوازن**[١٥]، **وفي موضع أخر ينسبها نقلا عن ابن فارس إلى** تميم [١٦]، وقد نسبها ابن فارس في الصاحبي إلى أسد حيث يقول : " وأما الكشكشة التي في أسد " [١٧].

ويتضح من خلال التباين السابق في نسبة هذه اللهجة إلى قبيلة بعينها أنها كانت واسعة الانتشار، وتغطي مساحات قبلية متعددة، وهذا ما يفسر انتشارها في مناطق مختلفة في الوطن العربي، خاصة في فلسطين والريف الفلسطيني.

ولم يقتصر خلاف القدماء على نسبة هذه اللهجة إلى بيئة معينة، بل نجدهم يختلفون في ماهيتها؛ فهي عند سيبويه لغتان أو لهجتان، الأولى : إبدال الكاف شينا، والأخرى، إلحاق الشين للكاف. وأما ابن فارس فيقصرها على كاف المؤنث، بل ألحق بها كاف المذكر أيضا فقال: "قوم إنهم يبدلون الكاف شيئا فيقولون عليشَ بمعنى عليك " (١٨)، ونجده يفتح الشين والكاف.

وما نجده الآن في التحقق النطقي للكاف في الريف الفلسطيني يختلف عن الكشكشة التي وصفها علماء اللغة القدامى، إذ تم إبدال الكاف شينا، أو الحقوا بالكاف الشين، وصوت الكاف شديد ونظيره الرخو صوت الشين، وهو إبدال يقوم على التقابل في الصفة من جهة، وقرب المخرج من جهة أخرى . وإلحاق الشين بالكاف هو إلحاق كمي، لا يمنع انصهار أحد الصوتين في الأخر أو فناء أحدهما، ولكن ما نراه اليوم في التحققات النطقية لصوت الكاف يختلف كليا عن التوصيف القديم للكشكشة، إذ يقلب الريف الفلسطيني كل كاف في بعض السياقات النطقية إلى صوت مركب (ch)، بل نجد في سياق نطقي واحد تعاقب الكاف و (ch) كيفك chii/fak_

غير أننا من خلال استقراء العادات لوحظت أن البيئات الريفية في شمال فلسطين خاصة تنطق الكاف ch بالإنجليزية في ضمير المخاطب المؤنث، إذ سمعتهم يقولون للمذكر عندك cin/dak وللمؤنث عندك cin/dich، وهذا لك la/ka، وهذا إلك i/lich <

قد يكون هذا القلب قريبا مما ذهب إليه القدماء إلا أنه في العصر الحديث تحول الصوت إلى صوت مركب، فيحصل بأن يندفع الهواء من الرئتين، مارا بالحنجرة، فينفتح الوتران الصوتيان دون حدوث ذبذبة، ثم يتخذ مجراه من الحلق حتى يصل إلى مخرجه، وهو التقاء أول اللسان بالغار التقاء تاما، حابسا خلفه تيار الهواء المتدفق، فينفصل العضوان انفصالا مفاجئا، محدثا صوتا انفجاريا، هو صوت الكاف المكشكشة . وأصبح للقلب قيمة تمييزية بين المذكر والمؤنث .

والمتتبع للعادات النطقية المختلفة في الريف الفلسطيني يجد أن هذا القلب لم يكن خاصا بكاف المخاطب أو المخاطبة، بل يجدهم يقلبون كل الكافات إلى ch، أو يتعاقب صوتا الكاف والـ ch في كثير من البنى النطقية مثل :

كيف حالك ؟ chiif/haa/lak، وفي سؤال المؤنث chiif/haa/lich

أي أنه لا يوجد نظام خاص في تبدلاتها، وإنما ترد مرة بالكاف الخالصة، وأخرى بـ ch، وفي منطقة سلفيت وقراها ينتشر الصوت المركب ممثلا ظاهرة واضحة، إذ يبدلون كل الكافات إلى صوت ch، في كلكم chum/ chul، وفي مخاطبة النساء chul/chin، وفي التحية يقولون في (مسيكم بالخير) للمذكر mas/sii/chum، وللمؤنث ma/sii/chin.

ويبدو أن الصائت القصير في مثل هذه السياقات النطقية يقوم بدور وظيفي وهو التمييز بين المذكر والمؤنث، علاوة على أن التنوع اللهجي له وظيفة تمييزية أيضا، إذ يبقى صوت الكاف محافظا على صورته الحقيقية للمذكر غالبا وصوت ch يعبر عن المؤنث . وبما أن صوت ch يتفاعل في بيئات مختلفة من المجتمعات الفلسطينية الخاصة في بيئة معينة فهو من قبيل الديافونات ؛ لذلك لم يوجد له رمز كتابي.

ومن خلال سماعي لنطق الطلبة في جامعة الخليل وجدت أن أهل الريف في هذه المحافظة يبدلون الكاف إلى صوت ch، لكنه ينماز عن الشمال الفلسطيني بقوة نبره، وكسره للمؤنث إذ يقولون عندك cind/chi، جدتك **d**3id/dit/chi مع إشرابه صوت الشين.

٣ -*إبدال الكاف إلى (g)*

قد يكون هذا الصوت الذي ذكره سيبويه في الأصوات غير المستحسنة وهو " الكاف التي بين الجيم والكاف " [١٩]، ونجد هذا النطق سائدا عند قرعان قلقيلية، وقرى جنوب فلسطين، والتعامرة في بيت لحم، والبادية الفلسطينية إذ يقلبون الكاف إلى جيم قاهرية، فيقولون في جدتك **d**3ad/dat/gi، وفي عندك cind/gi، وهذا يتناسب مع البيئة البدوية أو القريبة منها أو التجمعات التي تعود أصولها إلى البداوة ؛ لأن صوت (g) هو المقابل المجهور لصوت الكاف . ولذلك يميل البدو إلى النطق بالأصوات المجهورة، ويرى عبد المعطي موسى " أن تحول صوت الكاف المهموس إلى كاف مجهورة في بعض الألفاظ هو تحول صوتي تركيبي، وليس مطلقا يحدث نتيجة وقوع الكاف المهموسة في بيئة

صوتية معينة يزول بزوالها " [٢٠].

وهذا كلام ينطبق على السياقات الفصيحة، فيتأثر صوت الكاف المهموس بما يجاوره من أصوات مجهورة، فيشرب صفة الجهر، أو يميل إلى التجهير. أما في العادات النطقية فهو ديدن، وغير محكوم بسياق معين، فعلى كلامه يكون صورة سياقية لفونيم الكاف، أي هو من قبيل الألفونات، وما نحن بصدده هو من قبيل الديافونات المتولدة من رحم البيئة الجغرافية.

٤ -إبدال الكاف إلى قاف

حيث نجد أن بعض القرى في شمال فلسطين يقلبون الكاف إلى قاف، بمعنى أنهم يميلون إلى الاستعلاء؛ وذلك لقرب المخرج بين الصوتين.

التفسير الصوتي للتحققات النطقية لصوت الكاف

لا شك أن التحققات النطقية هي هوية للجماعة البشريه التي تعيش في بيئة معينة، فكل بيئة جغرافية لها عاداتها النطقية المميزة لها، وهذا يدخل ضمن علم اللغة الاجتماعي ، ولكن ما يهمنا في هذه الظواهر المختلفة أن نوضح التفسير الصوتي لهذه التحققات البيئية ، ويبدو أن سبب قلب الكاف الى (ch) يعود إلى تأثير قانون الأصوات الحنكية ، وملخص هذا القانون أن الكاف وهي من أصوات أقصى الحنك تميل بمخرجها إلى نظائرها في الأصوات الأمامية ، حين يليها في النطق حركة أمامية كالكسرة، لأن هذه الحركة الأمامية، تجتذب إلى الأمام قليلا أصوات أقصى الحنك، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، ويغلب أن تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المزدوج، أي الجامع بين الشدة والرخاوة [٢١].

ويطلق ماريو باي على هذه الظاهرة " مصطلح التغوير palata lization، ويعني نقل مخرج الصوت إلى منطقة الحنك الصلب أو الغار (مثل الكلمه اللاتينية centum) التي تنطق بصوت طبقي (حنكي لين)، مثل k، ولكنها انتقلت إلى الإيطالية cento لصوت غاري يماثل ما في church " [٢٢].

ويمكن تقسير هذا القلب على النحو الآتي:

عندك cin/dik ----- cin/dich

فقد أثرت الكسرة الأمامية على الكاف الطبقية، فأدى هذا التأثير إلى تغيير مخرج الكاف إلى الغار، أي انتقل المخرج إلى الأمام، فتولد الصوت المركب affrecatsound من الكاف والشين، فظهر صوت (ch)، وأصبح الناطقون يقلبون كل كاف إلى (ch) في بعض البيئات الفلسطينية، ليسيروا على وتيرة واحدة . علاوة على أن لهذا القلب دلالة مورفيمية، وهي التمييز بين المذكر والمؤنث.

أما التفسير الصوتي لقلب الكاف إلى (g) فإنه يسير في اتجاه معاكس من قلب الكاف إلى (ch)، وذلك أن مخرج الكاف في التحقق الأول تقدم بسبب تأثير الكسرة الأمامية إلى الأمام، في حين في قلب الكاف إلى (g) تأخر إلى الخلف قليلا، وأصبح الصوت الجديد مجهورا.

وهذا يتناسب مع البيئة البدوية التي تميل إلى التجهير، فحُول الصوت المهموس إلى صوت مجهور قريب في مخرجه من مخرج الكاف.

ثانيا : التحققات النطقية لصوت القاف

يُعد صوت القاف من الأصوات الخلافية بين القدماء والمحدثين، فقد عده القدماء من الأصوات المجهورة، ومخرجه من أقصى الحنك، أي أنه صوت حنكي، يقول سيبويه : " ومن مخرج أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف " [٢٣]، أما الخليل بن أحمد فقد عده لهويا [٢٤]، وهو في هذا الوصف يتفق مع المحدثين إذ إنهم نسبوه إلى مخرج اللهاه [٢٥] وهو من الأصوات المهموسة [٢٦] . وقد تناول علماء اللغة المحدثون المسار التاريخي لصوت القاف وما طرأ عليه من تطور لا مجال للوقوف عليه في هذا البحث [٢٧].

لقد تعددت الأشكال النطقية لصوت القاف في البيئات الاجتماعية المختلفة في فلسطين،

وقد رسم التفاعل الاجتماعي التبدلات المختلفة لهذا الصوت، علاوة على البيئة الجغرافيـــة التي تحدد مسار نطق بعض الأصوات، ولا يغيب عن بالنا ما للطبقه الاجتماعية من دور كبير في التمثلات النطقية لصوت القاف.

ويمكن رصد التبدلات الصوتية لصوت القاف كما يأتي:

١ - إبدال القاف كافا

نلحظ هذا التحقق لصوت القاف في مدينة قلقيلية وقراها إذ يسعى النـــاطقون إلـــى قلـــب القاف إلى كاف في السياقات النطقية المطلقة فيقولون في:

قال	qaa/la	كال	kaa/la	
قلبي	qal/bii	كلبي	kal/bii	
هذا الوقت	هلقيت	hal/qiit	هلكيت	hal/kiit
قلم	qa/lam	كلم	ka/lam	

بمعنى أن صوت القاف تحول إلى كاف، أي أنهم عمدوا إلى تقديم المخرج من اللهاة إلـــى الطبق وهو مخرج مجاور لمخرج القاف الفصيحة.

٢ - إبدال القاف إلى جيم قاهرية (g)

تنطق القاف قريبا من صوت (g) في جنوب فلسطين والبادية الفلسطينية وفي غـــزة هاشم. والجيم القاهرية صوت حنكي قصي انفجاري مجهور [٢٨] .وهذا التوصيف يتفق مع وصف القدماء لصوت القاف .

ويرى إبراهيم إنيس أن تحول القاف المهموسة إلى جيم خالية من التعطيش في بعض اللهجات، يعود إلى أن الأحرف المهموسة تحتاج إلى قدر أكبر من هواء الرئتين، لذا فهي أشق في النطق من المجهورة [٢٩].

غير أننا نجد سيبويه يذهب إلى أن المهموس أخف من المجهور يقول : " المهمـــوس أخف من المجهور " [٣٠]، وما ذهب إليه سيبويه أكثر دقة من إبراهيم أنيس ؛ لأن المجهور

يحتاج إلى اهتزاز الوترين الصوتيين وهذا يعطيه مشقة نطقية .

غير أننا نرى أن السبب في تحول صوت القاف إلى (g) يعود إلى أن صوت (g) المجهور يتناسب مع البيئة البدوية، إذ إنها تميل إلى الأصوات المجهورة لذا نلحظهم يقولون في :

قال	qaa/la	gaa/la
قلم	qa/lam	ga/lam
قلبي	qal/bii	gal/bii

٣ - نطق القاف همزة

تنطق القاف همزة في بعض مدن فلسطين، وأخص بالذكر نابلس والقدس والخليل . ولا يوجد _ - كما يبدو لي - تقارب بين صوتي القاف والهمزة في المخرج والصفة حيث القاف صوت لهوي مهموس انفجاري . والهمزة تخرج من الحنجرة فهي صوت لا مهموس ولا مجهور . وهذه الآلية النطقية تلجأ إلى استبدال الصعب بالسهل ؛ لأن الهمزة تعد من أشق الأصوات نطقا فسكان هذه المدن يقولون في:

قلم	qa/lam	ألم	>a/lam
اقع	>a/qac	أأع	>a/>ac
قديم	qa/diim	أديم	>a/diim
قاسم	qaa/sim	آسم	>aa/>im
قال	qaa/al	آل	>aa/la

ونلحظ من خلال هذا التحقق أن مخرج القاف تأخر إلى الحنجرة وهذا يسير عكس التطور الصوتي الذي يميل غالبا إلى تقديم المخرج وليس تأخره ، ومهما يكن من أمر فإن نطق الهمزة أصعب من نطق القاف . غير أننا نجد إبراهيم أنيس يجعل القاف أثقل نطقا من الهمزة، فيقول :

" إن القاف قد تطورت من أجل ثقلها، وصعوبة النطق بها تطورات كثيرة في اللهجات

الحديثة، فأحيانا ينطق بها همزة، وأحيانا جيما خالية من التعطيش [٣١] .

وهذا كلام فيه نظر، لأن الناطق يلجأ دائما إلى السهولة، والقاف من حيث النطق أخف من نطق الهمزة .

ومن اللافت للنظر أن هذا النطق للقاف لا نجده إلا في البيئة المدنية التي تميل إلى التحضر والمدنية، وهذه البيئة من عاداتها النطقية التخلص من كل ثقيل وهذا النطق يخالف القياس النطقي الذي يلجأ فيه الناطق إلى قانون السهولة والتخفيف من المجهود العضلي في آلية نطقه .

ومن الجدير ذكره أن هذه الظاهرة النطقية لم تكن بدع العصر الحديث أو البيئة الحديثة، بل نجدها عند القدماء أيضا، فقد جاء في كتاب الإبدال : " الأشب والقشب ... الأفز الوثبة بالعجلة والقفز الوثب ... زهاق مئة وزهاء مئة "[٣٢].

إن هذه الظاهرة الصوتية تحتاج إلى المزيد من البحث ؛ لأن الباحث يحار في تعليل لهجة بعض سكان مدن فلسطين في هذه التحققات النطقية . ولكن تبقى لنا وجهة نظر من خلال تتبع الأصول السكانية إن أمكن من خلال تحقيق الهمزة .

فالنبر صفة ملازمة للهمزة، فقد كان الهمز أو النبر صفة البداوة في القديم، والدليل على ذلك أن أهل الحضر أو المدن لم ينبروا فقد ورد في اللسان نقلا عن أبي زيد : " أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، فقال : ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر"[٣٣]. فالهمزة تتساوق مع البيئة البدوية التي تعاني شظف العيش، والنطق يتلاءم مع طبيعة الحياة، فالهمزة صعبة النطق جدا. يقول رمضان عبد التواب عن طبيعة إنتاج الهمزة: "بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة ، وهذه العملية تحتاج إلى جهد عضلي ... وقد حاولت بعض القبائل التخلص منها وخاصة قبائل الحجاز " [٣٤].

ولثقل الهمزة قال مكي بن أبي طالب: " جاز فيها التحقيق، والتخفيف، والبدل، والحذف، وبين بين، وإلغاء الحركة" [٣٥].

ويبدو أن السبب في هذا التحقق النطقي للقاف يعود لسببين:

الأول: أن الأصول السكانية المدنية تعود إلى البداوة، وبقيت محافظةعلى بعض خصائصها النطقية، حتى أصبحت سمة حضارية لانتسابها إلى البيئة المدنية، وبما أنه وليد البيئة الجغرافية فهو من قبيل الديافونات، ويمكن إحالته إلى الطبقة الاجتماعية الراقية التي تميل إلى هذا القلب، فهنا يحال إلى الفاريوفونات ؛ لأنه تحقق نطقي طبقي، فهو هوية المدينة وهوية الطبقة، وهناك تلازم بين الطبقة الاجتماعية الراقية وبين الحضارة والمدنية (البيئة الحضرية).

ثانيا: إن هذا التغير في نطق القاف يعود إلى التطور الاجتماعي الذي يصاحبه دائما تطور نطقي، فأراد أصحاب البيئات الحضرية والطبقات الاجتماعية العليا أن يكون لهم لسان خاص بهم ينمازون به عن غيرهم، حتى لو كان في هذا اللسان صعوبة نطقية. والدليل على ذلك أن الطبقات الدنيا حين تريد أن تحاكي غيرها من الطبقات العليا تلجأ إلى مثل هذا القلب لدلالته على التطور والتحضر والتقدم الاجتماعي.

التفسير الصوتي للتحققات النطقية لصوت القاف

١- إبدال القاف إلى كاف:

قال qaa/la _____ كال kaa/la

مال الناطق إلى التخلص من صوت القاف المفخم،واستبدل به صوتا مرققا ؛لأن الصوت المرقق أسهل نطقا من الصوت المفخم، علاوة على أن مخرج الكاف أكثر أمامية من مخرج، القاف والملاحظ في تغيرمخارج الأصوات أنها في الأعم الأغلب تتجه إلى الأمام لأنه أكثر سهولة.

٢- إبدال القاف إلى (g)

قال qaa/la ____ gaa/la

تحولت القاف من صوت مهموس إلى صوت مجهور، وهذا التحقق النطقي مرتبط في

البيئة البدوية، التي تميل إلى الأصوات المجهورة، وهو تحول مقبول يتناسب مع طبيعة البيئة، وهي عادة نطقية عربية قديمة، وقد أشار إليه ابن دريد، وعزاه إلى اليمن، وهو الحرف الذي بين " الجيم والكاف إذا اضطروا إليه قالوا كمل بين الجيم والكاف " (٣٦).

ولا فرق بين الصوتين إلا في صفة الجهر، فالقاف صوت مهموس، والجيم القاهرية صوت مجهور، وهما متقاربان في المخرج.

٣ - إبدال القاف إلى همزة

قال qaa/la ____ آل aa/la

لا يوجد وشائج صوتية بين الصوتين، تعين الباحث على تعليل صوتي، يكون مقبولا، ويقرع ذهن الباحث، فربما وجد الناطق صعوبة في الصوت المطبق، فحوله إلى صوت مرقق، ولكن كان أحرى بالناطق أن يتخلص من الصوت المطبق، أو المفخم تفخيما كليا، فلم نلحظ أن الناطق قلب أحد أصوات التفخيم الكلي همزة، مثل الصاد والضاد والطاء والظاء. علاوة على أن الناطق يميل غالبا إلى نقل مخرج الصوت إلى الأمام، أما هذا التحول فنقل مخرج الصوت إلى أقصى الخلف. لذا لم أجد تعليلا مقنعا غير ما ذكرت سابقا من الأصول البدوية لأصحاب هذا اللسان من جهة، وهوية مميزة للناطقين بهذا التغير من جهة أخرى.

أثر التحققات النطقية لصوت القاف في الدلالة

لوحظ من خلال التحققات النطقية لصوت القاف أنه يؤدي إلى تغيير الدلالة في قلب القاف إلى كاف، ويتضح لنا ذلك بالموازنة بين دلالات المفردات التالية:

قال	كال
القوم	الكوم
القلم	الكلم
القلب	الكلب

وهذا ناتج عن وجود فونيم مستقل لكل من القاف والكاف، وهذا من خصائص الفونيم الذي يعد أصغر وحدة صوتية، لا تحمل في ذاتها معنى، ولكنها قادرة على تغيير الدلالة. وهذا التغيير لا يؤثر في البيئة الواحدة، لكنه يطفو على السطح عند التواصل الكلامي بين بيئتين مختلفتين . فيؤدي غالبا إلى تعثر التواصل.

ونطق القاف همزة، قد يغير معنى الكلمة فكل من القاف والهمزة فونيم مستقل، له أثر في تغيير الدلالة ويتمثل هذا في الموازنة بين بعض المفردات عندما تنطق، بالقاف أو بالهمزة مثل:

عاقل	عائل
قلم	ألم
قديم	أديم

يلحظ أن هناك فرقا دلاليا بين العمود الأول والعمود الثاني وهذا يؤدي إلى حدوث لبس دلالي أو لبس تواصلي بين البيئات المختلة.

الخاتمة

وبعد،

فقد جلت هذه الدراسة التحققات النطقية لصوتي الكاف والقاف في الدارجة الفلسطينية حسب البيئات الجغرافية المختلفة، والطبقة الاجتماعية، وقامت الدراسة بالتأصيل لما يجري على ألسنة الناطقين من عادات نطقية تعاقب فيها الصوتان موضع الدراسة.

ونتج عن الدراسة أن الكشكشة التي كانت على ألسنة بعض القبائل العربية تختلف عما نسمعه الآن من إبدال الكاف إلى صوت مزدوج يشبه صوت (ch) في اللغة الإنجليزية، ولم يقتصر على قلب كاف المؤنث إلى شين كما كان سائدا عند القدماء، بل نجد أن إبدال كل كاف إلى صوت مزدوج ساد مساحات جغرافية كبيرة في فلسطين، وأخص بالذكر الريف الفلسطيني علاوة على أن التحققات النطقية لصوت القاف قد مال إلى التجهير في بعض البيئات الريفية والبدوية الفلسطينية، أما قلب القاف إلى همزة في البيئات المدنية فربما كان سببه رقة الحضارة والتمدن في البيئات الفلسطينية.

ومما لا شك فيه أن بعض التحققات النطقية لصوت القاف قد أدى إلى تغيير المعنى، وذلك لأنه ينتج عنه تغيير فونيمي . أما التحققات الأخرى فهي من قبيل الديافونات أو الفاريوفونات التي لا تؤدي إلى تغيير الدلالة.

ووضحت الدراسة الهوية النطقية حيث يحيل اللسان إلى البيئة الجغرافية والطبقة الاجتماعية . فاللسان هوية المكان والطبقة.

الهوامش

١- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص١٠٤
٢- ابن جني، الخصائص، ٢ /١٠
٣- إبراهيم أنيس،في اللهجات العربية، ص١١
٤- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص١٨٣-١٨٤
٥- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص١١-١٢
٦- ينظر: الخليل، العين،٥٨/١
٧- سيبويه، كتاب سيبويه، ٤٣٣/٤
٨- نفسه، ٤٣٤/٤
٩- محمد جواد النوري، علم أصوات العربية،ص١٦٣
١٠- ينظر:داود عبده، أبحاث في العربية، ص١٤٩
١١- سيبويه، كتاب سيبويه، ١٩٩/٤-٢٠٠
١٢- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢١٦/١
١٣- ابن جني، الخصائص، ١١/٢
١٤- السيوطي، الاقتراح، ١٩٩
١٥- السيوطي، المزهر، ٢١١/١
١٦- نفسه، ١ /٢٢٢
١٧- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة،ص٥٦
١٨- نفسه، ص ٣٥

١٩- سيبويه، كتاب سيبويه، ٤ / ٤٣٢

٢٠- عبد المعطي موسى، الأصوات العربية المتحولة، ص١٣٧

٢١- ينظر : رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص١٣٢

٢٢- ماريو، باي، أسس علم اللغة، ص١٤٤

٢٣- سيبويه، كتاب سيبويه، ٤٣٣/٤

٢٤- ينظر: الخليل، العين، ٥٨/١

٢٥- ينظر : تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٧٩

٢٦- ينظر : إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٨٤

٢٧- ينظر : رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص٢٠-٢٢، ومحمد جواد النوري، علم أصوات العربية، ص ٨٤

٢٨- كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات) ص١١١

٢٩- ينظر : إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص٢٨

٣٠- سيبويه، كتاب سيبويه، ٤٥٠/٤

٣١- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص٢٨

٣٢- أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ٥٦١/٢-٥٦٢

٣٣- ابن منظور، لسان العرب، مادة نبر

٣٤- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص ٤٧-٤٨

٣٥- مكي بن أبي طالب، الرعاية، ص١٣٣

٣٦- ابن دريد، جمهرة اللغة ٥/١

ثبت المصادر والمراجع

١. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط٧، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٩٠م.

٢. _____، في اللهجات العربية، ط٣، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٦٥م.

٣. _____، موسيقى الشعر، ط٤، القاهرة : دار النهضة، ١٩٧٢م.

٤. باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣م.

٥. بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.

٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ١٩٥٢م.

٧. _____، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دمشق: دار القلم، ١٩٨٥م.

٨. حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، القاهرة ١٩٥٨م .

٩. _____، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

١٠. ابن دريد، جمهرة اللغة،طبعة حيدر أباد الدكن، ١٣٤٤هـ.

١١. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب.

١٢. السيوطي، عبد الرحمن هلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، ط٢ حيدر أباد،١٣٥٩هـ.

١٣. _____، المزهر في علوم اللغة، تحقيق جاد المولى وآخرين، ط ٤، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م.

١٤. ابن أبي طالب، مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، عمان: دار عمار، ١٩٨٤م.

١٥. عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة: مكتبة الخانجي،١٩٨١م.

١٦. عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٣م.

١٧. ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت: ١٩٦٤م.

١٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، سلسلة المعاجم والفهارس، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨م .

١٩. اللغوي، أبو الطيب، الإبدال في كلام العرب، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦٠م

٢٠. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، ط ٣، بيروت: دار الصادر، ١٩٤٩م.

٢١. موسى، عبد المعطي نمر، الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى، إربد: دار الكندي للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

٢٢. النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، عمان: مطبوعات جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٧م.

٢٣. وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م.